فلسطين عروس عروبتكم

مذبحة غزة :
إذا مـــات دحـــلان ..
فكلـــهم دحـــلان!

obeikandl.com

obeikandl.com

مرة أخرى ينفجر القلب بالألم .. .. كيف أكتب؟ ولمن أكتب؟ ولماذا أكتب؟

تتهاطل الأسئلة كتلك الصواريخ الساقطة على أهلنا في فلسطين:

كيف أكتب؟ ..

كيف أكتب؟ وقد استحال الدم حبرا والحبر دما ..

كيف أكتب والنيران التي تشتعل في أجساد أبنائي في فلسطين تسري في عروقي وتجري في دمي وتحرق قلبي ..

ولماذا أكتب؟

وهل أفلحت كل الكتابات في إسقاط صاروخ أو الحماية من رصاصة أو إطفاء حريق ..

ولمن أكتب؟

لحكام خانوا وهانوا وباعوا ..

لا .. كلمات الخيانة والبيع والهوان لم تعد تصلح ..

وليس ثمة مناص من أن ننحت من اللغة كلمات جديدة ليس لها مثيل لتصف جرائم خسيسة ليس لها مثيل ..

ذلك أن جرائم حكامنا جرائم مركبة

أما نخبتنا السائدة المتحالفة مع السلطة فأشبه ببغي لا تمارس البغاء من أجل الحصول على الثمن بل لتنشر الإيدز بين الأمة لتفقدها مناعتها.

وبالفعل والواقع.. فإن نخبتنا المثقفة الرسمية لا تنشر بين الأمة إلا الإيدز الفكري .

لمن أكتب؟

للأمة العاجزة المستباحة المشلولة التي فهمت وأدركت لكنها عجزت عن المواجهة لأنها عجزت عن دفع تكلفة هذه المواجهة. للأمة التي حرصت على الحياة فلم تنل إلا الذل والهوان والعار والموت ..

الأمة التي لم تدافع عن نفسها كما ينبغي لها أن تدافع .. وما منعها عن ذلك الدفاع جبن أو ضعف أو خور .. ولكن منعتها نخبة مثقفة مزيفة ليست سوى نخبة من أحط العملاء وكهنة لا علماء .. باعوا الآخرة واشتروا الدنيا .. بل كانوا أحط وأخس ..

فقد باعوا الآخرة لدنيا غيرهم .. وما منعتها إلا ببلبلة الفكر وتحريم الحلال وتحليل الحرام .. وبإقصاء الجهاد بعد أن سموه-عليهم اللعنة- إرهابا ..

كيف أكتب؟ ولماذا أكتب؟ ولمن أكتب؟

هل أكتب لكي أستدر عطف القراء على الدم المسفوك والأشلاء الممزقة والعرض المغتصب والمال المنتهب والمساكن المهدمة؟

هل أكتب لكي تسيل عبرات وتتصاعد آهات وتحرق الجوف زفرات ثم أؤوب قانعا وقد ظننت أنني أديت واجبي.

هل أستفز إنسانية القارئ ليرحم ويعطف ويتمزق قلبه من الحزن والأسى؟ ..

لكنني لا أشعر بذلك كله .. وما أشعر إلا بغضب جائح هائج مائج يزلزل كياني .. فقضية فلسطين ليست قضية إنسانية نتصدق فيها على من ذل ونعزي فيمن مات .. قضية فلسطين هي قضيتنا المحورية التي إن لم نقم بها فليست لنا قضية أخرى .. قضية فلسطين هي قضية لا إله إلا الله محمد رسول الله .. قضية فلسطين تكاد أن تكون الفيصل بين الإيمان والكفر فإن لم يكن الكفر فما هو أشد منه وهو النفاق فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار .. قضية فلسطين هي قضية الكرامة والوجود .. قضية فلسطين هي قضية التاريخ والجغرافيا والاجتماع والاقتصاد .. قضية فلسطين هي قضية التواصل .. تواصلنا مع الشهداء عبر القرون ومع الفاروق ووديعته ومع دين محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه.

ليست القضية قضية إنسانية ولا قضية لاجئين .. ولا حتى قضية فلسطين إنما هي قضية الإسلام والمسلمين .. قضية الجهاد: ذروة سنام الإسلام ..

***

تتوالي الصور على شاشات التلفاز وعلى الشبكة العنكبوتية ..

وأقرأ كلمات الرثاء التي تدلل على وحشية العدو المجرم بدليل قتله للأطفال والنساء فيشتد بي الغضب.

فهل دم الرجال أقل حرمة؟ أم أن قتل المدنيين هو المستهجن أما قتل المجاهدين فمسموح به .. أم أن حرمة دم المجاهد في المقام الأول وإن تساوى الدم كله ..

تتوالى الصور وتبدو بعض التعليقات كأنها تستجدي الرحمة ولكنني أريد لهذه

الصور أن تشعل في نفوسنا نارا لا يخبو أوارها إلا بعد أن تعود فلسطين .. فلسطين كلها عربية ..

تتوالى الصور .. حيث يبدو أن الجيش المجرم لإسرائيل المجرمة هو المعتدي .. وذلك شرَك خداعي وقعنا فيه .. فالجيش المجرم هو جيش الغرب الصليبي الصهيوني كله .. هو جيش الحروب الصليبية وجيش الروم وجيش هرقل .. وذلك ما غفلت عنه الأمة الإسلامية فكان عليها أن تخسر كل حروبها منذ جهلت هذه الحقيقة.

تتوالى الصور، أرى الأشلاء والدم والجروح، أرى الموت، وأسمع صرخة زوجة ولوعة أم وأنين طفل، وأبكي، فما أنا رغم الغضب إلا إنسان يحس ويتألم ... ويبكي .

أرى وجه محمود الزهار يقبل جبين ابن شهيد ..

وليس أي ابن وليس أي جبين ..

كان جبين شهيد .. ولم يكن الشهيد الأول ..

كان الثاني من أبنائه الشهداء ..

كان بين ١٨ شهيدا معظمهم من القسام و٤٥ جريحاً ..

كان ذلك في ١٥ / ٠١ / ٢٠٠٨ حيث تقدمت قوات صهيونية خاصة، مصحوبة بعشرات الآليات والجرافات وبدعم مروحي للطائرات الحربية، وتوغلت في حي الزيتون شرق قطاع غزة صباح ذلك اليوم، وقامت بإطلاق النار وصواريخ من طراز «أرض أرض» على المناطق الفلسطينية شرق قطاع غزة. فتصدى لهم الأبطال بسلاحهم المتواضع، لتغتالهم قوات الاحتلال الصهيوني في مذبحة واحدة ثم بدأت بإطلاق النار بصورة مباشرة على سيارات الإسعاف الفلسطينية التي تحاول إنقاذ الجرحى ونقل جثامين الشهداء. وكان من بين الشهداء حسام الزهار، نجل القيادي في حركة المقاومة الإسلامية «حماس» محمود الزهار

وفي رد فعله على استشهاد ابنه أكد الدكتور محمود الزهار، القيادي البارز في حركة المقاومة الإسلامية «حماس»، على أنه لا فرق بين شهيد ارتقى وآخر، فكلهم فداء للوطن، مؤكداً أن دماء ابنه حسام الذي ارتقى شهيداً صباح اليوم الثلاثاء (١٥/١) في قصف صهيوني «فداء للوطن ولفلسطين وللأقصى».

يومها رأيته على شاشة التلفاز ..

رأيت الألم كما لم أر الألم أبدا ..

ورأيت الشجاعة كما لم أر الشجاعة أبدا ..

ورأيت الإيمان يشع نورا وأمانا واطمئنانا ..

ورأيت الإصرار والصبر ..

ورأيت في عينيه هو بنفسه عيني شهيد ..

ولست أدري حتى الآن .. إذا ما كان إجهاشي بالبكاء ساعتها تعبيرا عن التأثر والانفعال أم عن الإعجاب والانبهار ..

***

ينفجر الألم ..

أبصق في وجه عالم يدعى الحرية والديمقراطية وحماية حقوق الإنسان .. عالم وحشي رمانا بدائه وانسل .. وأتذكر ديننا فأشعر -رغم طوفان الألم والأحزان- بالفخر.

أبصق في وجه كل دحلان بين حكامنا .. وجلهم دحلان ..

تتوالى الصور والأصوات أتذكر أبنائي وبناتي في فلسطين الذين يراسلونني ..

أتذكرهم جميعا ..

أتذكر على سبيل المثال رائد الفلسطيني الذي راح يبثني هموم وطنه-وطني- وأنا أكثر عجزا عن مساعدته من عجزه عن مساعدتي .. إنه يستطيع أن يمنحني القدوة والمثل فماذا يمكن أن أمنحه .. ؟! وهل هناك فرق بين الطواغيت هناك والطواغيت هنا .. بين العسس هناك والعسس هنا .. ؟!

أتذكر غريبة المنفى .. هكذا عرفتني بنفسها تعريفا لا يمكن أن أنساه أبدا: «أبواي لا ينسيان مهما مرت من دهور» .. قالت لي أن أباها «اسمه النكبة وأمها اسمها النكسة» ..

لا تقري عينا يا غريبة المنفى .. ستظلين غريبة فأخوالك وأعمامك لا يقلون خزيا ولا عارا ولا سوءا عمن أعطونا النكبة والنكسة ..

أتأمل الملامح عبر شاشات التلفاز .. هل ما يزال قرائي أحياء؟! هل ما يزال رائد

حيا؟ هل ما زالت غريبة المنفي تعيش؟ .. أحدّ بصري عبر الشاشات لكن كيف أميز بين الدم المسفوك إن كان لقارئ أم كان لغير قارئ .. وكيف أميز الشلو الممزق من الشلو الممزق .. كيف أميز عبر الشاشات جثة متفحمة من أخرى .. وكيف أعرف ملامح مزقتها قنبلة أو شوهها صاروخ أو سحقها مبنى منهار ..

ثم ..

هل هناك فارق بين رائد وبين أي فتى فلسطيني؟ أو بين غريبة وأي فتاة فلسطينية؟.

***

تتوالى الصور والأصوات .. أصرخ: هل حكامنا بشر لهم قلوب تنبض أم جمادات قدّ قلبها من الصخر. لكن الأمر لا يتعلق برقة القلب ولا بغلظته .. وإنما بانعدام الأخلاق والوطنية والدين .. فأنا لا أتصور كيف يمكن أن يكون هناك بشر يشارك في حصار الفلسطينيين فيمنع عنهم الطعام والشراب والدواء ومستلزمات الحياة الرئيسية .. هل قلت: لا يمكن أن يكون هناك بشر؟ .. لا والله .. ولا الحيوانات تفعل ذلك .. أما النخبة الفاجرة فهي تزين ذلك وتروج له وتدافع عنه .. أما أنا فلا يغادرني الإحساس الذي كتبت عنه قبل ذلك كثيرا .. الإحساس الذي يسيطر عليّ فأصرخ:

أعتذر إليك يا حبة القلب يا فلسطين .. أعتذر .. فأنا غير قادر على كتابة كلمة واحدة تشيد ببطولتك الفذة التي لم يشهد لها التاريخ كله مثيلا .. ما من شعب فعل ما فعله شعبك .. وما من أطفال في كل العالم عبر كل التاريخ فعلوا ما فعله أطفالك .. وما من آباء ضحوا كما ضحى الآباء فيك .. وما من أمهات زغردن لعرس الشهيد من أبنائهن كما زغرد نساؤك .. وما من مكان في العالم استشهد فيه من أبناء الحكام من استشهد من أبناء حكامك .. ولقد رصدت وكالة «قدس برس» أسماء أكثر من ٤٥ شهيداً من أبناء قادة «حماس»، استشهدوا خلال العقدين الماضيين من عمر الحركة، سواء خلال الانتفاضة الشعبية السابقة أو انتفاضة الأقصى الحالية. وحسب الإحصائية الخاصة بوكالة «قدس برس»؛ فإنّ بعض هؤلاء الأبناء استشهدوا وآباؤهم، وهم أبناء القادة من الصف الأول والثاني والثالث في حركة «حماس». وعلى سبيل المثال فقد استشهد نجلا الدكتور محمود الزهار: خالد وحسام، أما الدكتور نزار ريان فقد استُشهد نجله إبراهيم، والشيخ محمد طه: استشهد نجله ياسر وزوجته وطفلته،

والشيخ عبدالفتاح دخان: استشهد نجلاه طارق وزيد، الشيخ حماد الحسنات: استشهد نجله ياسر، والشيخ أحمد نمر حمدان: استشهد نجله حسام، الشيخ إبراهيم تمراز: استشهد نجله صهيب، والدكتور مروان أبو راس: استشهد نجله عاصم، والدكتور إبراهيم اليازوري: استشهد نجله مؤمن، والشهيد عدنان الغول: استشهد نجلاه بلال ومحمد، والشهيد صلاح شحادة: استشهد وزوجته وإحدى بناته، والدكتور خليل الحية: استشهد نجله حمزة، والنائب «أم نضال» فرحات: استشهد أنجالها نضال ومحمد ورواد. والدكتور علي الشريف: استشهد نجله علاء، والشيخ أحمد الجعبري: استشهد نجله محمد وشقيقاه حسن وفتحي، والشيخ حسين أبو كويك: استشهدت زوجته بشرى وأطفاله براء وعزيز ومحمد، والشيخ منصور أبو حميد: استشهد نجله أحمد، والمهندس عيسى النشار: استشهد نجله علي، والشيخ نبيل النتشة: استشهد نجله باسل، والشهيد الدكتور نبيل أبو سلمية: استشهد في قصف منزله هو وزوجته سلوى وأطفاله يحيى ونصر الله وسمية ونسمة وهدى وآية. والشيخ عبدالعزيز الكجك: استُشهد نجله ناصر، والشيخ أبو بلال الجعابير: استشهد نجله مصعب، والشيخ جهاد أبو دية: استشهد نجله محمد، والشيخ عصام جودة: استشهد نجله محمد، الشيخ إبراهيم صلاح: استشهدت طفلته إيناس.

ليلاحظ القارئ أننا نتحدث عن الشهداء من أبناء كبار المسئولين .. فهم هناك .. في فلسطين الحبيبة .. لا يورثون الرئاسة المغصوبة ولا المال المنهوب ولا الرشوة ولا الخيانة ولا العمالة ولا موالاة الأعداء .. لا يورثون أيا من ذلك .. بل يورثون الشهادة.

***

أكلم نفسي كثيرا عن فلسطين .. لكن يخجلني أن أتحدث إليها ..

أعجز حتى عن التحية .. كما أعجز عن النصيحة .. فالنصيحة من مثلنا لمثلهم فضيحة ..

تتوالى أمامي سلاسل الشهداء .. سلاسل من نور ..

أري على رأس الشهداء الشيخ أحمد ياسين ..

يوم استشهاده حاولت أن أكتب عنه .. وكنت عاجزا عن الكتابة.

كان الخونة كدحلان هم الذين أرشدوا اليهود إليه ليغتالوه، وهو الأمر الذي فعلوه

بعد ذلك مع الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي الذي فجر في قلبي ذات الألم ..

كان دحلان وراء كل كارثة .. كان هو قائد فرق الموت لاغتيال الشهداء ..

ولم يكن دحلان مجرد خائن فلسطيني .. بل كان النموذج الشامل .. وكان كل حاكم عربي هو في الواقع دحلان مهما تنكروا خلف الأقنعة. لذلك أقول لإخوتنا في فسطين: لا تطيعوهم .. ولا تلقوا إلينا بالا ولا تطيعونا.

لا تطيعونا يا أهل فلسطين إذن ولا تطيعوهم فجلهم كذلك البهائي الذي أغلى ما فيه حذاؤه.

لن أتوقف أبدا عن المقارنة بين البطل إسماعيل هنية جالسا على رصيف -جائعا مع شعبه المحاصر- هو أعلى من كل العروش والآخر الذي نشرت وكالات الأنباء عنه أنه يفضل الأحذية من نوع «موكاسين» التي تنتجها شركة «فابي» الفاخرة والذي يكلف الزوج الواحد فيها ٢٠ ألف يورو, وبذلك يشترك مع العديد من رؤساء الدول الفاخرة في ارتداء هذه الأحذية.

لا تصدقونا فجل حكامنا من نوعه، وكمثله أثمن ما فيهم أحذيتهم.

نعم .. جل حكامنا مثله ومثل الخائن العميل دحلان ..

نعم .. عباس ودحلان هم نماذج حكامنا فلا سبيل لالتقاء هنية معهم ..

***

يحتاج الحديث عن دحلان لبعض التفاصيل .. لأنه ربي على عين الصهاينة و'لصليبيين وهو نموذج نمطي بين حكامنا .. نموذج فاعل وحاضر ورئيسي لأنه عميل وجاسوس أمريكي وإسرائيلي .. ولنتناول أولا الفضيحة الأخيرة التي انفجرت والتي يكشفها تقرير أمريكي يقول : أن إدارة بوش سعت لحرب أهلية في غزة بالتعاون مع دحلان لإسقاط حماس، وأن تكاليف الخطة قدرت بـ ١,٢٧ مليار دولار كما ذكرت صحيفة القدس العربي في عددها ٥-٣-٢٠٠٨. والأمر لم يكن أقوالا مرسلة بل كشف مسؤولون أمريكيون ووثائق سرية رسمية أن إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش سعت لتمويل حرب أهلية في غزة بواسطة محمد دحلان، مستشار الرئيس الفلسطيني للأمن القومي، تنتهي بتقويض سلطات حماس. وطبقا للقدس العربي فقد أوردت مجلة فانيتي فير الأمريكية في عددها الذي سيصدر في شهر نيسان (أبريل)

المقبل، أنها حصلت علي وثائق سرية يعزز مضمونها مصادر في الولايات المتحدة والأراضي الفلسطينية تكشف مبادرة سرية صادق عليها بوش وعهد بتطبيقها إلى وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس ونائب مستشار الأمن القومي إليوت أبرامز.

وأوضحت المجلة أن هذه الخطة الأمريكية السرية هدفت لإثارة حرب أهلية فلسطينية. وأعدت للقوات التي يقودها دحلان، وتسليحها بأسلحة جديدة من أجل إزاحة الحكومة المنتخبة ديمقراطياً التي تقودها حماس، من السلطة.

وكان مخطط إدارة الرئيس جورج بوش يهدف إلى إلغاء نتائج انتخابات كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٦ التي فازت بها حماس بأغلبية المقاعد في البرلمان الفلسطيني، وهو الفوز الذي امتعضت منه الإدارة الأمريكية.

***

هذه هو مبلغ الديموقراطية الأمريكية ومآلها ومنتهاها ..

وهذه هي شرعية البهائي الحذاء ..

هذه هي الليبرالية والحداثة والشفافية ونهاية التاريخ ..

لكن .. فلنواصل ما ستنشره مجلة «فانيتي» في عددها الذي لم يصدر بعد .. فموعده الشهر القادم ..

***

قالت المجلة : إن هذه الخطة السرية أدت لعكس غرضها، وأسفرت عن تراجع أكبر للسياسة الخارجية الأمريكية في عهد بوش، فبدلاً من إقصاء الأعداء من السلطة، فإن مقاتلي فتح المدعومين من الولايات المتحدة أتاحوا لحماس، بشكل غير مقصود، السيطرة على غزة بشكل كامل.

وفي هذا الإطار اتهم المستشار السابق لنائب الرئيس الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط ديفيد وارمسر الذي استقال من منصبه في يوليو (تموز) ٢٠٠٧ بعد شهر من سيطرة حماس على غزة، اتهم الإدارة الأمريكية بأنها كانت تنخرط في حرب قذرة في إطار جهودها لتأمين النصر لديكتاتورية يقودها عباس.

***

نعم ..

حرب قذرة ..

نرددها مع المسؤول الأمريكي .. لكننا نضيف أن صفة القذارة تلحق بكل من أدان حماس وأيد البهائي والجاسوس والعميل ..

كل حاكم عربي عادى حماس لم يعاد فصيلا سياسيا وإنما عادى الدين والأمة والدولة والشعب والحق والعدل ..

ولكن ..

لنعد إلى وارسمر الذي يرى أن حماس لم تكن تنوي السيطرة على غزة حتى أجبرتها فتح على ذلك. وأردف يبدو لي أن ما حصل لم يكن انقلاباً من قبل حماس وإنما انقلاب من قبل فتح جرى إحباطه قبل حصوله.

وفي هذا السياق نقلت المجلة عن مسؤول في وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) قوله كل واحد ألقي باللوم علي غيره (بعد فوز حماس)، مضيفاً جلسنا في البنتاغون نتساءل: من الغبي الذي أوصى بذلك؟.

وأشارت المجلة إلى أن واشنطن تصرفت بقلق ورعب، حين بدأ عباس المحادثات مع حماس على أمل إنشاء حكومة وحدة وطنية.

وبدأت الإدارة الأمريكية تعد من وقتها خطة بديلة لإزاحة حماس من السلطة بالتعاون مع دحلان ولو عن طريق الحرب الأهلية. كان دحلان يسبق عباس في سلم الخيانة وكان بوش يسميه «رجلنا» ..

وبدأ القائد الأمريكي كيث دايتون الذي عينه بوش في عام ٢٠٠٥ للتنسيق الأمني في الأراضي الفلسطينية لقاءاته مع دحلان في القدس ورام الله. وتوافق الرجلان علي العمل على خطة أمنية تبدأ بتوحيد الأجهزة تحت قيادة دحلان، الذي عينه عباس ـ بالتزامن مع ذلك ـ مستشاره للأمن القومي.

ورفض الكونغرس بداية تمويل هذه العملية خوفاً على أمن إسرائيل، فطلبت الولايات المتحدة من مصر والأردن والإمارات دعم الأجهزة تدريباً وعتاداً.

وحسب مجلة «فانيتي فير» فإن كوندوليزا رايس لعبت دورا مهما في محاولة إقناع مصر والأردن والسعودية والإمارات بتمويل وتدريب مسلحي حركة فتح، وكان من

المفترض أن تنقل الأموال إلى حسابات بنكية تخضع لمراقبة الرئيس عباس. وأكد مسؤولون إسرائيليون من بينهم الوزير بنيامين بن أليعازر أن مصر بعثت بأسلحة لتنظيم فتح في غزة في شهر كانون الأول (ديسمبر). ٢٠٠٦

وحسب مذكرة من وزارة الخارجية الأمريكية فإن تكاليف الخطة (رواتب المسلحين والتدريبات والأسلحة) قدرت بـ ١,٢٧ مليار دولار على مدى خمس سنوات.

***

هذه هي حكاية الشرعية بين هنية وعباس يا عبيد أمريكا ويا عبيد عبيد أمريكا ..

هذه هي حكاية الشرعية المدعاة ..

وها هو ذا دحلان .. النموذج النمطي لكل حاكم عربي ..

وككل حكامنا فإنه قد بنى كل مرحلة من مراحل عمره على كذبةٍ وادعاء .. وكانت الخيانة تتبع كل علاقة له .. ثم أصبحت الآن تصاحبها وتسبقها!! .. ادعى النضال منذ نعومة أظفاره وادعى الاعتقال لفترة طويلة ولم يكن الأمر كذلك بل كانت بعثات داخلية للدراسة في أوكار المخابرات .. وادعى مساعدة أبو جهاد خليل الوزير في توجيه الانتفاضة .. في حين أن كل فترة من هذه الفترات اكتنفها غموض فوضّحتها وقائع سردها أكثر من طرف ..

بدت عداوة دحلان للإسلام منذ شبابه المبكر، وعندما التحق بحركة فتح فقد ادعى أنه كان مؤسس الشبيبة الفتحاوية أثناء دراسته الجامعية. وقد فنّد أحد مؤسسي الشبيبة الفتحاوية هذا الادعاء، بأن الشبيبة تأسست في الضفة الغربية وليس في قطاع غزة!! بعدها تولى الموساد تلميعه بمساعدة «أبو رامي مسؤول المخابرات»

ولقد أقر أحد مسؤولي الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) السابقين ((ويتلي برونر)) أنه تم تجنيد دحلان في تونس في الثمانينيات، وتمّت تزكيته وتسميته مع الرجوب ليكوّنا سوياً القوة الضاربة المستقبلية بعد اتفاقات أوسلو حين تسلّم مهمة قيادة جهاز الأمن الوقائي، وكيف كان وفياً بطريقة خرافية للاتفاقات الأمنية، فتعاون مع الصهاينة من أجل الفتك بالمقاومة عبر التنسيق المذهل مع الأجهزة الأمنية الصهيونية التي رفعته إلى أعلى المراتب في سلطة الحكم الذاتي. من قائد لجهاز الأمن الوقائي – حيث شكّل فرقة الموت التي قتلت عشرات الأبرياء واعتقلت المقاومين – إلى مستشار عرفات للشؤون الأمنية إلى وزير للداخلية ..

ولقد صرح دحلان أخيرا عند كشف أحد مؤامراته لاغتيال إسماعيل هنية -: إن هذه المحاولة «شرف لا أدعيه».

إن النموذج النمطي لدحلان أنه لص كالآخرين .. فقد ولد محمد يوسف دحلان في العام ١٩٦١ لأسرة فقيرة في مخيم خان يونس ونشأته في مناخ العوز لينتهي الأمر الآن بتملّكه لفندق فخم في غزة هو فندق الواحة على شاطئ غزة، وهو الفندق المصنف كواحد من أفخم مجموعة فنادق الخمس نجوم في الشرق الأوسط. وقد استغرب أهل غزة مِن ذاك الذي كان فقيراً بالأمس القريب يتملّك فندقاً تكلفته مئات ملايين من الدولارات، ولكن جهاز الأمن الوقائي كان كفيلاً بإسكات وتعذيب كل من يهمس بكلمة عن هذا (الإصلاحي) الجديد.

لم تنته الحكاية عند هذا الحدّ بل تفجّرت بشكل كبير عندما كشفت صحيفة ((هآرتس)) العبرية في العام ١٩٩٧ النقاب عن الحسابات السرية لرجال السلطة الفلسطينية في بنوك إسرائيلية ودولية، وكانت ثروة دحلان في البنوك الإسرائيلية فقط ٥٣ مليون دولار. كان ذلك منذ أحد عشر عاما .. ويبدو أن الصليبيين والصهاينة قد تستروا على أرقام ثروته بعد ذلك، تلك الثروة التي من المحتمل أنها تجاوز المليارات (متوسط ثروة العميل العربي الخائن: أربعون مليار دولار مهربة إلى الخارج).

كان دحلان- كما يقول موقع أخبارنا- يثير الاشمئزاز بكثرة تملقه للرئيس عرفات، لكنه سرعان ما انقلب عليه، متغافلاً عن التصاريح السابقة في تمجيد (الرمز)، مستشعراً أن الانتقادات الإسرائيلية والأميركية ضد عرفات فرصة لا تُعوّض للانقلاب الذي طالما حلم به وخطّط له في لقاءاته الأمنية المتكرّرة مع القادة الإسرائيليين. وفي ١٣/ ٧/ ٢٠٠٣ وجّه محمد دحلان رسالة إلى شاؤول موفاز يقول فيها : «إن السيد عرفات أصبح يَعد أيامه الأخيرة، ولكن دعونا نذيبه على طريقتنا وليس على طريقتكم، وتأكدوا أيضاً أن ما قطعته على نفسي أمام الرئيس بوش من وعود فإنني مستعد لأدفع حياتي ثمناً لها)».

كان هذا اعترافا منه بالقتل والاغتيال الذي لم يكف عنه منذ أيام تونس ..

وكان الخائن يرى أن حركة حماس سوف تقف حجر عثرة في وجه مشاريعه وطموحاته إلى السلطة، وكان يتأهب دائماً للانقضاض على الحركة. وكثيراً ما حاول تفكيك هياكلها وأطرها التنظيمية والاعتداء على أعضائها وتعذيب وسجن عناصرها

وقادتها، حتى تجرأ على وضع الشيخ الشهيد أحمد ياسين في الإقامة الجبرية، بعد مصادرة الحواسيب والبرامج والملفات من مكتبه.

هذا عدا عن منع العمل الخيري في غزة وإقفال المؤسسات الخيرية، ضمن سياسة «تجفيف الينابيع» الأمريكية ضد الحركة.

لقد كان الخائن قاسما مشتركا في غتيالات الشهداء ابتداء من شبهات تونس حتى يقين غزة حين طرح شارون قتل القادة السياسيين لفصائل المقاومة الفلسطينية وسمّى: عبدالعزيز الرنتيسي وعبدالله الشامي ومحمود الزهار وإسماعيل هنية ومحمد الهندي ونافذ عزام وجميل المجدلاوي. واعترض أبو مازن على ذلك، إلا أن دحلان طلب مساعدة الإسرائيليين له عبر اغتيال القادة. وقال: (إذا كان لا بد لكم من مساعدتنا ميدانياً، فأنا أؤيد قتل الرنتيسي والشامي، لأن هؤلاء إن قُتلوا فسنُحدث إرباكاً وفراغاً كبيراً في صفوف حماس والجهاد الإسلامي، لأن هؤلاء هم القادة الفعليون.

ومما يذكر عن الخائن في محادثة هاتفية مع الصحافي جهاد الخازن نشرها في الصفحة الأخيرة «عيون وآذان» في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٢، أنه مستعد لإرسال عشرة رجال لقتل الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي ومن ثم يقوم باعتقالهم.

وقد أكد الخازن في رد آخر في الصفحة نفسها في تموز/ يوليو ٢٠٠٤ هذه المحادثة، وأن دحلان هدّد فعلاً بقتل الرنتيسي، وأنه رآه في القاهرة بعد النشر وعاتبه على ما نشر، فردّ يومها الخازن عليه مذكراً إياه أنه نشر نصف ما قاله ذلك اليوم.

مع وصول دحلان إلى قيادة جهاز الأمن الوقائي تمّ اقتحام ومداهمة مئات المنازل الفلسطينية، من قبل عناصر الأمن الوقائي واعتقال الشباب الذين يشتبه بانتمائهم إلى حماس، المشهد أسوأ مما كان يقوم به جيش الاحتلال الصهيوني.

ولم يتوقف المشهد الدحلاني عند هذا الأمر بل تمّ إطلاق النار على الكثير من المقاومين، وأصيب العشرات منهم بجراح، ولاقى من في السجون الأمرّين من التعذيب، فكل ما مارسه زبانية العدو الصهيوني طبّقه عناصر دحلان على أبناء حماس، وتمّ تعليق الشباب لساعات طويلة ووضع الأكياس العفنة في رؤوسهم وتوجيه الألفاظ البذيئة لهم، والاعتداء عليهم بالضرب المبرح، وتقييدهم من اليدين والرجلين، والضرب في مناطق حساسة من الجسم، ونتفت لحاهم، وأصيب عدد من الشباب بحالة صمّ مؤقتة نتيجة وضعه في زنزانة مع فتح مسجل يبث أغاني أجنبية

بصوت عال جداً، ولوحق كبار القادة وتعرّضوا للإهانة أمثال الدكتور محمود الزهار والشيخ أحمد بحر، ولقي الدكتور الشهيد إبراهيم المقادمة العذاب الشديد بأساليب حقيرة.

أما المؤسسات الإسلامية فكان لها نصيب كبير من الملاحقة، حيث تم اقتحام عشرات المؤسسات وفتشت مقراتها بدقة وصودرت وثائقها وملفاتها واعتقل قادتها وموظفوها وأغلقت بقرار السلطة.

ومنع الخطباء والعلماء والدعاة المسلمين الذين يشتبه أنهم مقربون من حركة حماس من الخطابة وإلقاء الدروس في المساجد، وعينت وزارة الأوقاف بالتنسيق مع أجهزة الأمن خاصة الأمن الوقائي عناصر موالين لها سواء في الخطابة أو الإمامة أو رعاية المساجد، وجدد رجال دحلان التدقيق في الموظفين الحكوميين ومعرفة ميولهم السياسية وتمّ فصل العديد منهم الذين اشتبه أن فكرهم قريب من حماس، وشدد في التوظيف ألا يكون المتقدم لأي وظيفة من حماس!!.

لم يخف دحلان علاقاته مع الإسرائيليين فهذا ما تقتضيه «المصلحة الوطنية»، وبرز واضحاً مدى ثقة الإسرائيليين به، وتحت التعذيب الشديد لأعضاء في كتائب القسام أبطل دحلان عملية كبيرة داخل الكيان الصهيوني وتحديداً في شركة «سيلكوم» اللاسلكية وأخبر جهاز المخابرات الصهيوني عن مكان حقيبة للمتفجرات، وفي مرحلة أخرى اعتقل عدداً من المجاهدين خلال توجههم لتنفيذ عمليات استشهادية، وبفعل التعذيب الشديد أيضاً تمكن من الحصول على معلومات حول مكان رفات الجنديين الصهيونيين إيلان سعدون وآفي سبورتس الذين خطفتهما وقتلتهما حماس نهاية الثمانينات.

وشكل دحلان- كما يقول موقع أخبارنا- فرقة للقتل ضمت عناصر شابة لا تدرك حقيقة ما ترتكبه بحق شعبها، بدأت بقتل هشام مكي رئيس هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطيني جهاراً في وضح النهار لأسباب متعددة، وكانت يده المسلطة على رقاب الناس في الردع والإرهاب، وأصبح اسم فرقة الموت يتردد في كل شارع من غزة في محاولة لتخويف الناس.

ومع أواخر التسعينيات بدأ دحلان خطوات متقدمة للاتجاه إلى العمل السياسي وأوعز إلى زوجته لتصبح سيدة مجتمع بإنشاء جمعية أطلق عليها اسم «المركز الفلسطيني

للتواصل الإنساني»، وأنشأ مع مجموعته نفسها مركزاً للدراسات «ناشد» ترأسه خالد اليازجي الذي عيّنه فيما بعد مسؤول العلاقات الخارجية في وزارة الداخلية.

ويتصرف دحلان حالياً على أنه الرئيس القادم حتى ولو على قطاع غزة، ومن مشاهد ذلك السيارة الفارهة المضادة للرصاص، والفيلا المقابلة لفيلا أبو مازن قرب شاطئ البحر التي استأجرها له الأمريكان، ويرسلون له الدولارات عبر شحنات بريدية مباشرة دون وسيط بنكي حتى لا تظهر في حساباته ويغدق بها على محاسيبه وأعوانه، وحوّل الفيلا إلى أكثر من وزارة بل مركز رئيسي لتحركاته ونشاطاته وتحظى الفيلا بحراسة أمنية مشددة، وبدأ يسوق نفسه بين العشائر والعائلات ويزورها في المناسبات المختلفة، ويعقد لقاءات شعبية، وينادي بالإصلاح.

***

هذا هو دحلان الذي يفضله حكامنا -مع صاحب الحذاء- عن جميع أهلنا الفلسطينيين ..

إنه أخوهم .. وهم لا يختلفون عنه إلا في المجالات الأوسع التي تمكنهم من مزيد من القهر ومزيد من النهب ومزيد من الإغضاء مقابل مزيد من الخيانة ..

فلتعلمي يا أمة: أن كل من يعترف بأنه على علاقة خاصة بأمريكا ليس سوى دحلان .. وكل مسلم على علاقة بإسرائيل هو دحلان .. وكل من تؤيده أمريكا هو دحلان.

***

انتهت المساحة المخصصة للمقال ولم أكد أقولُ شيئا ..

لكنني أعتمد على فطنة القارئ وذكائه واهتمامه وسعيه إلى أن يكمل بنفسه ما لم تتسع له المساحة ..

أن يكون فاعلا في هذه الدنيا ..

كما أريد قبل أن أنتهي أن أؤكد أن طريقا يتنكر الجهاد هو طريق الهزيمة والفشل ..

الجهاد بمعناه الشامل .. وأولها القتال في سبيل

وطريقا لا يعرف قيمة الإيمان هو طريق خسارة الدنيا وخزي الآخرة ..

أما ما يصيبنا من الألم فلولا أن الله سبحانه قد من عليّ بإيمان يفهم حكمة

الابتلاءات ويتحمل الرزايا لما استطعت الاستمرار!! ..

لكنني الآن – في مثل عمري- أنظر إلى كل شيء مبهورا ببدائع صنعته وعجائب حكمته .. مدركا أن لا شيء يجري خارج إطار مشيته فيمنحني ذلك الشعور عزاء أبديا على الخطوب وصبرا سرمديا على النوائب.

واثقا من النصر لكن بعد أن نؤدي واجبنا في الجهاد وثمن لا إله إلا الله

***

حاشية : فهمي هويدي

صالحني الكاتب الكبير فهمي هويدي بدموعه النبيلة ..

كانوا يتحدثون في الندوة عن المدى الذي بلغته خسة بعضنا في تشويه الفلسطينيين..

وعندما بدأ الكاتب الكبير في الحديث لم يحتمل ولم يستطع الاستمرار فانخرط في البكاء لأكثر من دقيقتين على منصَّة الندوة.

ثم إن مقالاته في الفترة الأخيرة كانت حائط صد يدفع عن إخوتنا سهام الشياطين .. وكانت – كعادته- ذكية شجاعة منصفة شاملة.

ترى ..

هل تنبه الكاتب الكبير أخيرا إلى أنه لا توجد حلول وسط بيننا وبين الصليبيين والصهاينة .. وأنه شتان ما بين الحلول الوسط .. والوسطية ..

تحية من الأعماق لكاتب كبير رجّاع للحق وإن لم يعترف بالخطأ .. !!